الفصل الخامس

# الإعـــلام..
# الركيزة الرئيسية في قوة الدولة

**العناصر:**

١- قـــوة الإعـــلام.

٢- الإعلام والتكنولوجيا.

أ - الإعـــــلام والـــدور الرقابـــي.

ب- الإعلام والحروب والنزاعات.

جـ- الإعـــلام والتنمية والتحديث.

## الفصل الخامس

# الإعلام.. الركيزة الرئيسية في قوة الدولة

**١- قوة الإعلام:**

لا توجد دولة من دول العالم فى عالمنا المعاصر إلا وهى علي دراية بالأثر الذى يعكسه الإعلام علي قوة الدولة، فكم من دولة خسرت قضايا عادلة بسبب عدم إعطاء قضاياها القدر الكافى من الدعاية والإعلام، إما بسبب قصور وسائلها فى شرح ذلك الحق أمام الرأى العام المحلى والإقليمى والعالمى، أو نتيجة عدم وجود تخطيط إعلامى مسبق يستوعب جميع الاحتمالات التى قد تطرأ علي القضايا التى تمس مصالح تلك الدولة، أو لعدم وجود كفاءات إعلامية قادرة علي القيام بذلك التخطيط وتنفيذه بسبب رتابة الإجراءات الإدارية أو العجز المالى... ، وكم من دولة نالت ما تتمني أو ربما جارت علي حقوق غيرها من الدول بسبب استخدامها للسلاح الإعلامى.

وقد ازدادت أهمية الإعلام مع بزوغ الألفية الثالثة، بعد أن شهد العالم مرحلة مهمة من تطور البشرية تمثلت فى العولمة أو الكونية، وذلك الترابط الشديد والتداخل بين مختلف الأنشطة الحياتية خاصة ما

يتعلق منها بالجانب الاقتصادى والثقافى والسياسى والأمنى، الأمر الذى أدي إلي زيادة عدد القضايا والمشاكل والاهتمامات التى تعرضها وسائل الإعلام بشكل يومى، وهو ما يعني ازدياد أهمية الإعلام والمعلومات كعنصر حاسم فى إدارة المجتمع والدولة، وفى القدرة علي تحقيق الأهداف ومواجهة التحديات المحلية والخارجية فى عالمنا المعاصر.

وأصبح حجم المخاطر التى تتعرض لها الدول أو الفرص المتاحة لحل تلك المشاكل يرتبط بمدي إمكانية توافر المعلومات الدقيقة والمرتبطة بالموضوع وبالسرعة المطلوبة، مما يستدعي وجود قنوات مفتوحة تسمح بتدفق المعلومات التى يعد توافرها شرطا رئيسا لمعرفة مدي النجاح أو الإخفاق، ومدي الرشد أو الإخفاق فى عملية صنع القرار، ومن هنا تتضح أهمية الإعلام ووسائل الاتصال المعاصرة والمبادئ الأساسية التى تتحكم فيها والقواعد المنظمة لها فى هذا العالم الجديد. والتطور المهم فى هذا المجال هو أن عالمية التفاعلات وانسياب المعلومات عبر أنحاء المعمورة أديا إلي تقليص الحدود بين الدول والقارات، وإلي سقوط الجغرافيا كعنصر مؤثر علي حجم التفاعلات بينها بحيث أصبح التنبؤ الذى طرح فى نهاية الستينيات عن القرية الكونية يكاد يكون حقيقة واقعة.

ومن مظاهر عالمية التفاعلات ازدياد الصلة بين الدول وأسواق المال وتفاعلات الرأى العام وتأثير ما يحدث فى إحداها علي غيرها ومعايشتها لها .. ومن مظاهرها أيضا انتقال الأخبار والمعلومات والأحداث لحظة حدوثها، وكذلك التداخل المتزايد الذى حدث بفعل

المعلومات أيضا فى مجال الاتصالات اللاسلكية والحاسبات الآلية والنشر وأنشطة الإعلان والترويج.

هذه التطورات فى الاتصالات التى فاقت كل التوقعات العلمية جعلت من الإعلام قوة لا تقل أهمية عن القوة العسكرية، وأصبح العالم يحسب له حسابات دقيقة لتأثيره علي الرأى العام من جهة، وما يمكن أن يحدثه من تفاعلات تخطت حدود الدول إلي المستوي الدولى من جهة أخري. وجعلت حتي من الرقابة الإعلامية والدينية والسياسية والأخلاقية التي كانت الدول تستطيع بواسطتها التحكم فيما ينشر ويبث من نافع أو ضار تطبق فى حدودها الدنيا، كما أنها لم تعد أيضا ذات قيمة ومعني حتي لو نفذت محليا لأن ما يمكن منعه وحظره محليا يمكن أن يجد طريقه عبر الفضاء أو الأثير أو الإنترنت أو البريد الإلكترونى خارجا عن أية سلطة رقابية، وهو الأمر الذي مكن الجماعات المقهورة فى بعض المجتمعات من نشر معاناتها للعالم أجمع، ومكن دولا ذات مصلحة وقوة إعلامية - فى المقابل - من تضخيم الخلافات التى تحدث فى الدول المعادية لها واستغلالها كمادة دعائية ضدها وللتشهير بسجلها، ومن ناحية أخري فقد مكن ذلك جماعات ذات انحراف فكرى وعقائدى وأخلاقى من أن تجد فى ذلك وسيلة لنشر ما تريد من أدبيات وأفكار بعيدا عن وسائل الرقابة التقليدية.

كل ذلك أدي إلي تراجع سلطة الدولة السياسية وكذلك الاجتماعية وقلص السيطرة التى كانت مفروضة علي الاتجاهات والأحزاب السياسية والجماعات الفكرية، وحل محلها بدائل كثيرة أكثر فاعلية وهيمنة وتأثيرا مثل آليات ومؤسسات الرأى العام الكبري والإعلام

المرئى والمسموع حيث أصبح الإعلام الأكثر نفوذا وفعالية بل وسطوة، مما أدي إلي تحالف نخب سياسة مع نخب الإعلام.

هذه التحولات الكبيرة بإيجابياتها وسلبياتها جعلت من الإعلام قوة جديدة من المستحيل إغفال تأثيرها أو تجنبها، بل تحتم علي الدول البحث والدراسة لإيجاد وسيلة فعالة ومناسبة للاستفادة منها وتحويلها إلي شرح قضاياها وخدمتها والترويج لسياساتها وتوجهاتها الاقتصادية والثقافية وحجز مكان لها - ولو صغيرا - بين دول العالم يخدمها فى التعريف بإنجازاتها، وهذا ما بدأت الدول الصناعية المتقدمة باستغلاله، وتنبهت إليه أيضا بعض دول العالم الثالث وتحاول مواكبته، وإن كان بخطي متأرجحة لا تتناسب مع سرعة الاتصالات والتفاعلات الحياتية التى تسود العالم اليوم[1].

## ٢- الإعلام والتكنولوجيا:

مكنت التكنولوجيا الحديثة من تحويل البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية إلي مجموعة من الإشارات الرقمية التى يمكن نقلها من مكان إلي آخر بسرعة فائقة داخل الدولة نفسها أو خارجها أو عبر الحدود .. كما مكنت التكنولوجيا الحديثة من نقل المجلات والجرائد والإعلانات والكتب والموسيقى عبر أنحاء العالم فى ثوان معدودة.

وقدمت التكنولوجيا الإعلامية خدماتها لأجهزة الاستخبارات عن طريق تزويدها بالمعلومات المهمة والضرورية، وهناك خطوط اتصال

(١) محمد عبد القادر حاتم - الإعلام والدعاية نظريات وتجارب - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٢ - ص ١١٨ - ١٧٣.

مباشرة فى بعض الدول، سواء دول القوة منها أو دول الضعف، بين هذه الأجهزة وبين إدارات خاصة داخل أجهزة الإعلام تعمل كأجهزة ربط بين أجهزة الاستخبارات وبينها، تمدها بكل معلومة محلية أو خارجية، كما تمدها أولا بأول بمواقف واتجاهات الرأى العام من خلال أجهزة قياس الرأى العام، وهذه الأدوات موجودة داخل بعض الأجهزة الإعلامية ويشرف عليها مختصون فى هذا المجال.

وترتقى هذه الوسائل الإعلامية بارتقاء الدولة وبتفوق قدراتها التكنولوجية المطرد، بإبداعها التكنولوجى الإعلامى، لذلك تشهد دول القوة تسابقا صاعقا في سبيل التفوق التكنولوجى الإعلامى بينما تشهد دول الضعف العكس من ذلك.

وللتكنولوجيا ميزتها من حيث الانتشار، وهذه الميزة ما تزال فى دول العالم الثالث استهلاكية أكثر مما هى إنتاجية إلا فى بعضها الذى يعد علي الأصابع. فتكنولوجيا الكمبيوتر الإعلامية هى الأقدر علي الانتشار السريع وإذا ما قيل إن دولة الغد هى الدولة الإعلامية فإن ذلك يعنى فى بعض جوانبه أنها ستكون دولة الكمبيوتر. إن ذلك التطور التكنولوجى ساهم فى صناعة الدولة الإعلامية الإلكترونية، وهذا ما تسيطر عليه الدول الصناعية المتقدمة، واللحاق بهذه الدول عملية عسيرة أمام الدول الآخذه فى التطور الصناعى حديثا، ولكنها مهمة ليست مستحيلة، وهناك دول مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج والبرازيل استطاعت أن تخترق ذلك الحصار والهيمنة من الدول الغربية، واستدركت الخلل القائم بينها وبين الدول المتقدمة ودعت لنظام إعلامى ودولى متكافئ بالرغم من المقاومة الضارية التى تلقاها

تلك الدعوة لإحساس الدول المتقدمة أن ذلك الأمر يكسر تفوقها الاحتكارى الإعلامى، وربما يعطى فرصة لدول أخري مستقبلاً تسعي لكسر هذه الهيمنة التى ستكون بالتأكيد تهديدا لمصالحها ومنافسة لها. ومن ناحية أخري وعلي وجه العموم فإن الإعلام أثر تأثيرا شديدا فى مجالات عديدة منها:

**أ - الإعلام والدور الرقابي:**

كانت الدول فيما مضي تضع حدودا تحظر علي الإعلام تخطيها، وتراقب ما تنشره وسائله بدقة، سواء كانت تلك الرقابة مبررة أو غير مبررة وكانت درجات تلك الرقابة تختلف من دولة إلي أخري، طبقا لنظمها الحاكمة ولدرجة تأثير الخبر أو التعليق أو الصورة المنشورة علي سياستها الداخلية والخارجية.

أما اليوم فقد بدأت الأمور تنقلب رأسا علي عقب، وأصبح للإعلام - فى بعض الدول - اليد الطولي فى كثير من الأمور، وبات من الضرورى علي أية دولة إعادة التوازن بين السلطات وإفساح مكان بينها للسلطة الجديدة المتصاعدة تصاعدا صاروخيا، وهى السلطة الإعلامية.

وباستطلاع وظيفة الإعلام بين وظائف الدولة عبر سلطاتها نجد أن المفترض فى السلطة التشريعية أن تكون مختصة بسن القوانين، وأن السلطة التنفيذية تتولي تنفيذها، إضافة لصياغة السياسة العامة للدولة والقوانين والقرارات التنظيمية بعد موافقة أو تصديق السلطة التشريعية وأن السلطة القضائية تتولي الحكم بالعدل بموجب تلك القوانين المشروعة ثم يجيء بعد ذلك دور الإعلام بين هذه السلطات جميعها،

والذى كان فى الماضى يكاد ينحصر فى أحيان كثيرة فى التعريف بنشاطات هذه السلطات الثلاث تعريفا حرا فى النظم الديمقراطية وتعريفا مقيدا فى النظم العسكرية أو الاستبدادية، وذلك بطرق متعددة، بدءا من العرض الموضوعى حتى الدعاية الكاذبة. لكننا نجد أن دور الإعلام قد اختلف فى هذه الأيام وأخذ بعدا أعمق من ذلك، فأصبح يشارك السلطة التشريعية وظيفتها الرقابية مشاركة قد تؤدى إلي حدوث تأثير يفوق تأثير السلطة التشريعية ويشارك السلطة التنفيذية صناعة سياساتها بما ينقده من سياسات أو ما يسبق إلي اقتراحه منها برصده تطور الأحوال الداخلية، وبتعرضه لأحكام القضاء في بعض الدول.

لقد كان من ثمار التواصل اللحظى والفورى مع جميع دول العالم وانتقال الخبر والصورة فى لحظة واحدة عبر أرجاء العالم أن تمكن المواطنون من معرفة أخبار المسؤولين، فلم يعد بإمكانهم أن يخفوا تحركاتهم عن هذه الأجهزة الإعلامية الكفيلة بإشاعة هذه التحركات، مما أدي إلي كشف الكثير من الخطط والاتصالات السرية بين الدول، بل وأدي إلي تحفظ أولئك السياسيين فى أقوالهم وأفعالهم. ومن جهة أخري فقد دفع ذلك بعض الأحزاب ورجال السياسة ومراكز القوي إلي التوجه إلي الصحف والمجلات لشرح وجهات نظرهم، أو إلي عقد تحالفات مع بعض أصحابها فى الوقت الذى أدركت فيه قوي أخري غير مسئولة أو مغرضة أهمية هذا التحالف وحاولت التسلل إلي المواقع الإعلامية بشكل مباشر أو غير مباشر عبر وكلاء مأجورين استغلوا هذه المهنة السامية لأغراض شخصية.

وتشير أكثر الإحصائيات الدولية التى أجريت علي مجموعات شتي من الأفراد في مختلف دول العالم أن متوسط الساعات التي يقضيها المواطن ما بين قراءة أو مشاهدة أو إصغاء للبرامج الإعلامية يتراوح يوميا بين سبع وتسع ساعات. ويتم ذلك باختياره دون ممارسة أية ضغوط عليه من قبل أحد، فهل هناك مقارنة بين هذه السلطة والسلطات الأخري فى الدولة؟ وكم ساعة يعطيها الفرد للسلطات الأخري طواعية ودون إكراه، وباقتناع كامل؟ بل إن متابعة وسائل الإعلام المختلفة من قبل شعوب دول الضعف قد تزيد علي متابعة تلك الوسائل من قبل شعوب دول القوة، وذلك لوجود ذلك الفراغ الكبير وتدنى الإنتاجية ومحدودية ساعات العمل . وربما يكون الفرق بين المشدودين إلي متابعة وسائل الإعلام فى الدول المتقدمة والدول المتخلفة هو نوعية البرامج والموضوعات التى يركز الناس علي متابعتها، مشاهدة ، أو مطالعة، أو إصغاء، سواء كانت تلك البرامج علمية أو ثقافيةً أو ترويحيةً، أو ضارة أو نافعة[1].

**ب -الإعلام والحروب والنزاعات:**

كان للإعلام - دون شك - أثره القوى فى كل التغييرات السياسية التى حدثت مؤخراً فى كل أنحاء الكرة الأرضية كتلك التى حدثت فى الاتحاد السوفيتى السابق وفى يوغسلافيا وألمانيا وغيرها من دول الشرق والغرب وقد أثبت الإعلام على الصعيد الدولى مع بداية القرن

(١) د. على عواد - الدعاية والرأي العام - مؤسسة نزية تركي للطباعة - بيروت - ١٩٩٣ - ص ١٠١ - ١٠٣.

الواحد والعشرين أنه إمبراطورية قائمة بذاتها تستطيع أن تغير كل الموازين وتؤثر فى القوي من خلال الكتابة وتبادل المعرفة وتنوع الآراء والأفكار المنقولة عبر وسائله المتعددة كالصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والأدوات الثقافية والتعليمية، والدعاية والإعلان والندوات والمهرجانات، ووكالات الأنباء والكتب وسائر المنشورات علي اختلاف أنواعها ودرجاتها، بل تغلغل فى حياتنا اليومية حتي أصبح - دون مبالغة - الموجه القوى لكل شيء.

ويكفى أن نعرف أن مئات الملايين من المشاهدين رأوا عبر الأثير معظم الأحداث السياسية التى وقعت فى نهاية القرن العشرين، وأن الإعلام عاش بل ساهم فى ولادة ونهاية حروب وأزمات دولية بدءا من الحرب الباردة إنتقالا إلى الحروب العربية الإسرائيلية مرورا بالحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج وانهيار المعسكر الشيوعى وحرب البلقان بين قوات التحالف ويوغسلافيا فى البوسنة والهرسك والفظائع الإنسانية التى ارتكبت وانتهاء بالحرب الروسية الشيشانية. ويكفى أن نعرف أن الجزء الأكبر مما يوجه الإنسان فيما يتبني من أفكار أو عادات أو اتجاهات، بل فيما يختار ليأكل ويشرب ويلبس إنما يتم نتيجة استجابة لإعلام أو دعاية أو إعلان كل ذلك لندرك مدي أهمية هذه المملكة الاقتصادية - الصناعية التجارية الجبارة.

لقد تخطي الإعلام بكل فروعه وأنواعه كل النظريات بعد أن أصبح يقع فى القلب من كل مجتمع . وبلغ تأثيره علي العقول شأنا عظيما فى المجتمعات الحديثة، حتي أنه يصعب بل يستحيل إنكار أن الإعلام

يؤثر علي تحديد الخيارات الشعبية العامة وعلي تحديد مواقف وأعمال الحكومات نفسها، وتوجيهها نحو الحرب أو السلام.

وقد برزت خلال الحرب التى دارت فى يوغسلافيا حقيقة مهمة وهى أنه إذا كانت القوات الصربية تقصف المدنيين الألبان العزل وترتكب مذابحها بدم بارد، فإن فرص هروبها من القصف الإعلامى تكاد تكون معدومة، فقد سلط الإعلام أضواءه عليها وصاحب العائلات الألبانية المهاجرة إلي أى مكان تلجأ إليه، ورافقها فى رحلاتها الطويلة وهى تحاول الهرب من المذابح البشعة وقصف المدافع المتوالى الذى لا يرحم. واستمرت وسائل الإعلام فى نقلها - ساعة بساعة - صور ومشاهد القصف والمذابح وجرائم القتل الجماعية التى تثير الرعب والخوف، وتبث الهلع فى نفوس الكبار والصغار.

إن ما حدث فى يوغسلافيا يعتبر نموذجا بشعا لما يمكن أن يحدث فى أى حرب، خاصة تلك الحرب الأهلية والعرقية التى عبر عنها السلوك الصربى اللاإنسانى، وتكرر هذا النموذج من النقل الحى فى أفريقيا وفى الشيشان وفى مواطن كثيرة من العالم. وقد شوهد هذا النموذج قبل ذلك فى جنوب شرق آسيا وفى البوسنة .. وإذا كانت الحروب الأهلية تنشب عادة بين جماعات عرقية أو دينية أو مذهبية متجاورة، فإن فى العالم اليوم ٣٥٠٠ مجموعة بشرية تعتبر كل منها نفسها أمة بينما يبلغ عدد الدول ١٨٠ دولة فقط، وفى الإتحاد السوفيتى السابق وحده ١٢٥ صراعا عقائديا، اتخذ ٢٥ صراعا منها حتي الآن طابع الصراع الدموى المسلح، بينما تنتظر حروب عرقية أخري دورها

لتطفوا علي السطح، ولنا أن نتخيل ما الذى يمكن أن يحدث لو لا فضح وسائل الإعلام لنتائج تلك الحروب المحلية.

وتعتبر القرارات الصادرة لإدارة الصراع فى أية دولة من القرارات المصيرية، بمعني أنه يترتب علي نجاحها تحقيق إنجاز ضخم كثيرا ما يمتد إلي الأجيال القادمة - ويترتب علي فشلها تدمير شامل وهلاك آلاف الأرواح، مما يؤدى إلي آثار ضارة قد تمتد إلي الأجيال اللاحقة.

وإلي جانب العناصر السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تعد من الأدوات الرئيسة فى إدارة الصراع، يدخل الإعلام الدولى بوسائله ومؤسساته المتعددة كعنصر مهم ومؤثر فى هذا المجال، لاسيما وأن هذا الإعلام يسعي إلي التأثير فى جماهير الدول الأخري المستقبلة للرسالة الإعلامية عن طريق نقل عناصر القوة التى يتمتع بها طرفا الصراع ويضعها فى قالب إعلامى ملائم، آخذا فى الحسبان تضارب رؤى المتلقين لتلك الرسالة الإعلامية .. وهكذا يساهم الإعلام الدولى فى نقل كيفية إدارة الصراع من جانب الطرف المعنى فى مواجهة الطرف الآخر .. وكلما كانت هذه الإدارة قوية، كلما ساعد ذلك الإعلام علي تدعيم موقف الدولة فى إدارتها للصراع الدولى. فهناك إذن قوتان، الأولي هى القدرة علي إدارة الصراع بأدواتها المتعددة والقوة الثانية هي الإعلام، وكلما كانت إدارة الصراع ضعيفة أضعفت معها قوة الإعلام المصاحب لها، لأن ذلك الضعف ينعكس علي الإعلام حتي لو تمتع ذلك الإعلام بالقوة فى حد ذاته.

إلي جانب ذلك يقوم الإعلام بإمداد إدارة الصراع (العسكرى- الاقتصادى - السياسى) بكم وافر من المعلومات التى تتعلق بطبيعة ونوع وأبعاد هذه الصراعات، بما يملكه من وسائل إعلامية داخلية وخارجية قادرة علي بث الرسائل الإعلامية المصممة بعناية فائقة، وإبراز التمكن من إدارة الصراع الدائر، بما يقنع مستقبلى الرسالة الإعلامية بوجهة النظر المطروحة، وبما ينعكس إيجابا علي القضية التى يدور الصراع بصددها[1].

وقد بادرت الولايات المتحدة الأمريكية إلي الاستفادة من هذا الأسلوب إدراكا منها بخطورة الثورة الإتصالية الحديثة وأهمية مسايرتها، ففى أكتوبر ١٩٩٩ أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية علي خطوة هى الأولي من نوعها على صعيد العالم تمثلت فى إغلاق وكالة الإعلام الرسمية "وزارة الإعلام" ودمجها مع وزارة الخارجية، وجاء هذا الدمج نتيجة اتفاق بين الحكومة الأمريكية والكونغرس لإدراكهما بأن الاتصالات العامة والمناقشة والإقناع تعتبر أمورا حيوية لتنفيذ السياسة الخارجية، وذلك لأن الدبلوماسية باتت ترتدى وجها عاما مكشوفا، وأن الاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية والإنترنت حدت من القدرة علي صنع السياسة خلف الأبواب المغلقة.

كان هدف الحكومة الأمريكية والكونغرس من هذه الخطوة هو صياغة السياسة الخارجية والترويج لأهدافها فى وقت مبكر قبل إقرارها وذلك عبر حوار عام، مما يعنى إضافة أدوات الاتصال العام العلنى إلي

(١) د. على عواد – الدعاية والرأي العام- المصدر السابق – ص ١٠٨.

كثير من الأدوات الدبلوماسية المألوفة المتوافرة، ويعنى ذلك أيضا وضع خطط مسبقة لتهيئة الشعب الأمريكى والشعوب الأخـــري وأصحـــاب القرار السياسى فى الخارج بملامح السياسة الأمريكية، ومن ثم التـــأثير عليهم فى نفس الوقت الذى تصاغ فيه السياسة الخارجية، لأنه أصبح من الصعوبة بمكان صياغة دبلوماسية عامة بعد اتخاذ قرار سياسى.

ويؤكد هذا التوجه الجديد للإدارة الأمريكية مـــدى حاجتـــها إلـــي دبلوماسية علنية عامة تواكب تطبيق السياســـة لا أن تكون نتيجة لـــها، ففى عصر المعلومات يعتمد نجاح إدارة العلاقات الخارجية فى أية دولـــة على قدرتها علي شرح أهدافها وقيمها لعالم غالبا ما تنتابه الشكوك حيال بعضه البعض.

ولكى يكون هناك تأثير عام فى الخارج، فـــإن وزارة الخارجيـــة الأمريكية تركز علي تفوقها فى مجال المعلومات وذلك بإرسال رســـائل شديدة التأثير تسعي من خلالها إلي استغلال التكنولوجيـــا والمنـــاهج المتاحة استغلالا تاما لشرح وجهات نظرها فى القضايا التى تتبناها[1].

**جـ -الإعلام والتنمية والتحديث:**

تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور مهم فى تنمية المجتمعات، سواء المجتمعات التقليدية أو النامية أو المجتمعات الانتقالية أو المجتمعـــات الحديثة أو المتقدمة، وذلك علي الرغم من وجود فروق رئيســـة لـــدور الإعلام فى هذه الدول وفقا لطبيعة هـــذه المجتمعـــات واحتياجاتـــها الإعلامية.

(١) مجلة الطليعة – إعادة تعريف الدبلوماسية – ١٩٩٩/١٠/١٣ – ص ١٥ – الكويت.

وتتبع تلك الفروق الجوهرية بين المجتمعات التقليدية والحديثة بسبب خضوع التنظيم الاجتماعى العصرى لمعايير حضرية حديثة تكون عادة أكثر تقدما من الناحية التكنولوجية، وأكثر انفتاحا علي العالم الخارجى وأكثر انغماسا فى قضايا التعليم، وأكثر واقعية فى التفكير، وأكثر دقة فى التعبير . ومع تفاقم المشكلات الاجتماعية التى تعانى منها المجتمعات المتقدمة أو النامية يتبين صعوبة الدور المطلوب من وسائل الإعلام فى مثل هذه المجتمعات لأن الاحتياجات الإعلامية للمجتمعات التقليدية والانتقالية والدول النامية تختلف عن الاحتياجات الإعلامية للمجتمعات المتحضرة والدول المتقدمة، وتواجه الدول النامية علي وجه الخصوص مشكلات عديدة تحتم أن يلعب الإعلام دورا رئيسا فى مواجهتها إذا أحسن تكييف برامجه وتطويرها للتكامل مع الأساليب والسياسات الوطنية الأخرى.

وليس المقصود هنا ازدياد كم الوسائل الإعلامية وانتشارها، ولكن العبرة الأساسية فى التحديد الواعى والمتفق للدور الوطنى المهم الذى يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام فى التنمية الوطنية واستخدام هذه الوسائل استخداما إيجابيا صحيحا لتحقيق الأهداف المرجوة، وذلك لأن التنمية الوطنية فى المجتمعات النامية تحتاج إلي مجموعة من المتطلبات التربوية الوطنية، وتستلزم ضرورة المشاركة من جانب جميع أفراد المجتمع، وخلق روح المشاركة التى تتطلب إرساء وتدعيم مجموعة من القيم التربوية فى نفوس المواطنين كافة لمواكبة عملية التغير الاجتماعى، وهذا ما يمكن للرسائل الإعلامية الهادفة والمبنية علي أسس علمية دقيقة أن تقدمه للمجتمع.

وكما يلعب الإعلام دورا مهما فى التنمية، فإنه يلعب دورا أكثر قوة فى التحديث، إذ بإمكانه أن يؤدى وظيفته كجزء من المجهود الوطنى فى سبيل تحقيق المهمة الكبري، وهى مهمة التحديث. فوسائل الإعلام هى الوسيط الأساسى بين صناع القرار السياسى والجمهور، حيث تقوم بتعبئة الرأى العام وتهيئته لقبول الأفكار الجديدة والرسائل الحديثة الرزينة دون خلق توترات عرقية أو ثقافية أو خلق إحباطات نفسية.

وعملية التحديث أمر معقد يتطلب معالجة ذات أبعاد متعددة لاتقتصر على المساعدات المالية فحسب، إذ أن التفكير فى التحديث بالمقاييس الاقتصادية وحدها، يعد نظرة مبسطة للأمور ولا يؤدى إلي نتيجة، وبالتالى فإن العمل الأساسى للإعلام هو رسم الإطار السياسى الثابت السليم الذى من خلاله يتم إيجاد بيئة اجتماعية صالحة متجانسة، وتعبئة الاهتمامات المبعثرة للجماهير فى هدف قومى واحد، وذلك عن طريق تغيير اتجاهات وسلوكيات أفراد المجتمع نحو الأفضل، وتحقيق التواصل عبر الحواجز القائمة بين ثقافاتهم المتعددة التى قد تفرق فيما بينهم. وبناء علي ذلك فإن للإعلام وظيفتين متميزتين فى هذا المجال، أولاهما تحقيق التكامل بين جميع المواطنين داخل الدولة، وثانيتهما إقناعهم بالمشاركة فى مشروعات التنمية القومية[1].

إن تثقيف الشعوب وإقناعها بإتخاذ قرارات التنمية، وكذلك مشاركتها الفعالة فى مواكبة التغيرات لا تكون إلا من خلال تدفق إعلامى يحدد لهذه الشعوب الأهداف وكيفية التغيير ومتي يتم التغيير.

(١) جون مارتن وانجوجر وفر – نظم الإعلام المقارنة – ترجمة علي درويش – الدار الدولية للنشر – القاهرة ١٩٩١ – ص ٢٦٥ – ٢٧٢.

وذلك يتم من خلال مساهمة وسائل الإعلام بقدر ملموس في إمداد الشعوب بالمعلومات المتنوعة، مع شيء من التركيز علي ضرورات التنمية والتحديث وتوضيح أهدافها.

ويتيح الإعلام فرصة لتوحيد الأمة عن طريق سبل كثيرة غير سياسية فبإمكانه مثلا ترسيخ القيم الروحية والدينية، وتشجيع الفنون والآداب من خلال تقديم العروض الهادفة وتقوية الوشائج الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع، أو بينهم وبين أفراد المجتمعات الأخري، كما يستطيع الإعلام أن يساعد في إبراز رجال قد يكونون زعماء سياسيين في المستقبل عن طريق عرض برامجهم الانتخابية وأفكارهم التي يجتذبون بها اهتمام الجماهير من خلال إثارتهم لقضاياهم والدفاع عنها.

نخلص من هذا إلي أن الإعلام يعكس الصورة الحقيقية للمجتمع ويسهم في تنميته، كما يؤدى لخلق الانسجام بين الأفراد أو زيادته، وهي حالة ضرورية في عملية التحديث . وهو قادر أيضا علي خلق المناخ الضرورى للتحديث بإيجاد المكونات الحيوية كالإبتكار وإثارة دوافع الإنجاز والطموحات التعليمية والمهنية باستخدامه بعض الرسائل العلمية لتعليم المهارات الأساسية مثل محو الأمية، بل وبعض المعارف الفنية الأكثر تعقيدا ، وهو ما تعمل القنوات العلمية والتعليمية المتخصصة علي بثه في أوقات مختلفة.

ويعمل الإعلام كذلك بالاشتراك مع غيره من المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - في وقت واحد لتحقيق الأهداف الوطنية، فالإعلام إذا استخدم بطريقة صائبة ومقننة يصبح أداة فعالة لتحقيق

التكامل الوطنى، والإحساس بالانتماء لوطن واحد بين قبائل مختلفة وجماعات عرقية ودينية فى البلد الواحد، إذ لا يمكن أن يكون هناك تطور اقتصادى أو تعليمى فى أى بلد دون إثارة مشاعر الولاء للوطن، ودون مشاركة الجماهير فى ذلك التطور بصورة متكاملة[1].

(١) د. محمد نور فرحات - حرية الصحافة والإعلام وبناء الدولة - مجلة الدراسات الإعلامية - القاهرة - العدد ٧٠ يناير - مارس - ١٩٩٣ ص ١٧ - ٢١..